مستشرقون تآمروا على الشرق !

بقلم جميل مظهر

لما مكنت اوروبا لعصر استعلائها وبدأت تتطلع الى استعمار بلاد العرب واخضاع ابناء الذين دوخوا اوروبا الف سنة ، ظهرت حركة عداء من نوع جديد للعرب وتراثهم . كانت تهدف اول شيء الى اخفاء مآثر العرب وافضالهم على الحضارة وعلى اوروبا ، اضافة الى تلطيخ تاريخهم بل واسمهم ايضا .

ولقد قاد هذه الحركة جماعة من المستشرقين عمد بعضهم الى الدس بين السطور ، ورجع بعضهم الى النظريات الشعوبية القديمة يحييها ويزكيها ، وعمد بعض اخر الى نظريات غريبة تؤدي الى انكار كثير من المستكشفات العربية الصميمة ، بل الى محاولة انكار فضل العرب في ارساء قواعد علوم برمتها كما فعل المستشرق الفرنسي برتلو عندما انكر نسبة الكتب اللاتينية الكيماوية التي تحمل اسم جابر بن حيان لمجرد ان اصولها العربية فقدت . وكذلك كان هناك فئة رابعة اتخذت بعض الاحيان مواقف لا يمكن ان تكون جديرة بالعلماء الراسخين . ومثلنا على ذلك موقف المستشرق دوزي من اولئك الذين كانوا يقولون بتأثر شعر التروبادور بالشعر الاندلسي ، حتى لقد صرح تصريحه العدائي الشهير « هذا موضوع لا فائدة من بحثه البتة ، ولا نريد ان نسمع ثانية ان احدا تكلم فيه . ولكل فرسه الذي سيموت عليه » . وتبعه اخرون مثل انجلاد حيث قال : « هو هذا ، لقد ابتكر التروبادور كل شيء ، شكلا وطابعا ! » .

اما برتلو فقد تصدى له علماء راسخون مثل هولمبارد وستيل وغيرهما واوضحوا تماما انه كان مخطئا بل ان ستيل اتهمه بالجهل وبالتحيز والعمد . اما العلامة جورج سارتوند فيقول ان اي شخص يعرف العربية لا يخطىء مطلقا في اكتشاف ان هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية اذ تبدو الاساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية ، سواء اكانت لجابر ام لغيره من العرب . واما مسألة التروبادور فقد تصدى لها ريبيرا وغيره واخيرا نيكل واثبتوا بما لا يدع مجالا للشك ان شعر التروبادور متأثر الى حد بعيد جدا بالشعر العربي الاندلسي وبالموسيقى العربية ولولاهما لما ظهر التروبادور .

وقس على ذلك في مختلف فروع المعرفة . لقد قام مستشرقون يهدمون العرب ويكيلون لهم ويعملون جاهدين على محوهم ومحو اثارهم . هذا وينبغي علينا ايضا ان نقرر الحق وهو ان اوروبا في الوقت نفسه لم تعدم ان تخرج كتابا موضوعيين نبلاء الغرض لا تسمح لهم ضمائرهم ان ينساقوا في خضم هذا البحر الزاخر بالتضليل وتشويه حقائق التاريخ . ولقد رفع كثير منهم عقائرهم وراح بعضهم يصلي زملاءه المضللين بالسنة حداد ، لا دفاعا عن حضارة العرب وتاريخ العرب من اجل العرب ، وانما دفاعا عن الحق ، الحق المقدس . قال العلامة درابر في منتصف القرن التاسع عشر : « اني لآسف لهذه الطريقة الرتيبة التي عمد بها الادب الاوروبي الى التحايل لاخفاء افضال العرب العلمية علينا » . وقال اخر من معاصريه ، هو الاستاذ سيديو : يحاول الاوروبيون التقليل من شأن الدور الذي لعبه العرب ، ولكن الحقيقة ناصعة مشرقة ، وليس امامنا من سبيل الا ان نضفي عليهم الشرف الذي يستحقونه ان عاجلا او آجلا ؟

كل هذه الخواطر وغيرها مما يملأ صفحات كتاب كامل تداعت الى ذهني وانا اقرأ المقال الممتع الذي طالعنا به الدكتور نقولا زيادة على صفحات « الاسبوع العربي » الصادر بتاريخ ٩ كانون الاول تحت عنوان « الدراسات العربية والاسلامية في بريطانيا » والحديث ذو شجون كما يقول المثل . أما ما يهمنا الان فعدة جمل قصار اختتم بها استاذنا الفاضل مقاله : « هذه العناية (اي العناية التي توليها بريطانيا للدراسات العربية والاسلامية) يقصد بها بطبيعة الحال اولا واخرا ، نفع سكان تلك البلاد (اي بريطانيا) . ولكن من حق اولئك الذين خدموا لغتنا وتاريخنا وادبنا ان نشكرهم . ولعل الكثير منهم اخطأوا ولعل البعض حتى تعمدوا الاساءة ، ولكن المهم ، في النهاية ، الخدمة والفائدة التي جنيناها من هذا الاهتمام ، والفائدة كانت كبيرة أ . »

اما من الناحية التاريخية فقد خدم الاوروبيون تاريخنا (وخاصة اثر احضارتنا في حضارة اوروبا) خدمات لا يمكن ان ننساها ولا ينبغي ان ننكرها . ويجب علينا ان نشكر الذين ادوا لنا هذه الخدمات منهم شكرا جزيلا . وانها لحقيقة ذات بال ان احدا من العرب حتى الان لم يقم بدراسات تاريخية مفصلة مقارنة في هذا الموضوع كالدراسات التي قام بها نفر من مستشرقي اوروبا وعلى الاخص في اواخر القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر عندما انبروا يدافعون عن حضارة العرب وعن تاريخ العرب في وجه زملائهم الذين يعمدون الى تشويهه وتوسيخه . ولولا تلك الدراسات المستفيضة العميقة البالغة الاهمية لما استطعنا نحن الان ان نعرف شيئا كثيرا عن حقيقة تاريخ حضارتنا وامجاد ابائنا

العلمية وافضالهم على حضارة اوروبا . ولما عرفنا على وجه التحديد مقدار فضلنا في ارساء قواعد الحضارة الحديثة . وهذا موضوع طويل قد نعود اليه فيما بعد .

اما لغتنا وادبنا فلا اظن ان المستشرقين اسدوا اليهما خدمات تذكر . فلا هم طوروا اللغة ولا وضعوا لها قواعد جديدة ولا هم جددوا في اساليب الادب العربي شيئا .

واما الجملة التي جاءت في كلام الاستاذ زيادة وجعلتني اقف عندها طويلا فقوله : « ولعل البعض حتى تعمدوا الاساءة . » وهنا مكمن الخطر وبيت الداء الحقيقي الذي عانينا منه معاناة كبرى ولا نزلنا نعاني . فقد كان لهذه الاساءات المتعمدة اسوأ النتائج وتسببت في اشد الاضرار وقد تكون مرة ثانية سببا في اضرار ونكبات جديدة، ان لم نعمل سريعا على التصدي لها وتخليص العقل الاوروبي والعربي ايضا من اثارها . وقبل ان استطرد في هذا الحديث احب ان اقول كلمة صغيرة ، هي اني ارجو الا يظن احد مطلقا اني انتقد استاذنا زيادة . ان حقيقة هذا الموضوع قد خفيت لكثرة التضليل وبفضل الطريقة الرتيبة التي لجأ اليها المستشرقون في اخفاء الحقيقة ، التي يتكلم عنها الاستاذ درابر ، على اساتذة كبار ممن لم يتعمقوا في درس هذا الموضوع بالذات ، ولا عيب في هذا البتة . وقد نتذكر ان استاذنا طه حسين وهو من انبه الناس في هذا العصر واذكاهم قد انساق في مستهل حياته الادبية وراء اراء المستشرقين الذين انكروا نسبة معظم الادب الجاهلي الى عرب الجاهلية ، ثم عاد فعدل رأيه . لذلك احب ان يتأكد استاذنا زيادة اننا لا نبغي الا وجه الحق ، وقد يعدل هو الاخر رأيه فنكون بذلك اكتسبنا استاذا عظيما الى صفنا .

نعود الى موضوعنا فنقول ان اوروبا حتى نهاية القرن الثامن عشر لم تكن تشك في تفوق الحضارة العربية وفي عظمتها ، ولم يكن العرب انفسهم حتى ذلك التاريخ شعروا بعد بالذلة والمهانة والانحلال الذي اصابهم . وكانت اوروبا قد بلغت عصر عظمتها فاتجهت كما قلنا الى العمل على محو هذا العدو القديم الذي افزعهم وصدهم عن اسيا وافريقيا اكثر من الف عام . وتزعم الحركة مستشرقون فطاحل ، وتصدى لهم نفر اخر منهم ممن يقدسون الحق مثل جوستاف لوبون وللويل ودرابر وسيديو ، يدافعون عن العرب .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ لقد سار المنهجان سويا ، منهج المضللين ومهج المنصفين . غير ان خطة الذين عمدوا الى تشويه حضارة العرب نجحت للاسف الشديد ايما نجاح ، ولاقت كتاباتهم ترحيبا وهوى من انفس الكتاب المختصين وغير المختصين اكثر مما لاقت كتابات المنصفين. ونجحت الخطة وانتشرت تشويهاتهم انتشار النار في الهشيم حتى لقد تعجز اليوم عن اقناع اوروبي — ولو كان مثقفا — بالحقيقة ، ذلك أن عقله قد طفح بهذه الاضاليل من كثرة ما قرأ هنا وهناك في الكتب الدراسية وغيرها وفي الصحافة والمجلات ومما شاهد اخيرا على شاشة السينما والتلفزيون . والرأي العام الاوروبي ينظر الى العرب في اسوأ مرآة . ليس هذا فقط وانما استطاعوا ايضا ان يؤثروا على عقول الكثيرين من ابناء العرب انفسهم حتى لقد يحدجك محدثك — وهو المثقف غالبا — بنظرة غريبة ان قلت له حضارة العرب او امجاد العرب العلمية ، وكأنك تحدثه عن بلاد الواق واق .

والواقع اذن الذي لا يمكن لمطلع على حقيقة هذا التاريخ انكاره ، ان كتاب الغرب على العموم تبعوا النغمة التي ترضيهم وساروا في ركب المضللين . والادلة على هذا كثيرة تملأ صفحات الادب العربي بمختلف الاضاليل التي اشاعوها ، حتى لقد انتقلت العدوى الى كتب العلماء الذين يكتبون في الكيمياء او الطبيعة او الطب او الفلك الخ .. ممن لا يعرفون الحقيقة وانما ينقلون عن هؤلاء المستشرقين. حتى لقد تجد حتى اليوم من ينكر اي حقيقة تتعلق بالكيمياء العربية ولا يذكر غير اقوال برتلو ولا يردد الا نظريته في حين ان تحت يده وامام ناظريه كتابات علماء من جلدته اقرب الى الصواب والى العلم والى الحق من برتلو الذي يتجاهلهم تماما وكأنهم لم يكتبوا شيئا بل كأنهم لم يولدوا قط . فلأي شيء يتركون الحق ويتبعون الضلال ؟ لا لشيء الا لانهم لا يريدون انصاف العرب ، ولا يعرفون معنى الحق والنزاهة والخلق القويم الذي ينبغي ان يتصف به الذين يتعرضون لاداب الامم وتاريخها ، بل الذين يتعرضون للكتابة ايا كانت .

اما الطامة الكبرى التي حلت بعالم الادب والنشر والكتابة في هذا العصر التعيس فتحكم اليهود في وسائل النشر والاعلام في العالم الغربي تحكما قد يفوق تحكمهم في اي شيء اخر . فمعظم دور النشر والصحف وما اليها من وسائل اصبحت تحت ايديهم يوجهونها كما يشاؤون ، وكما تطيب له سياستهم . لم يكن هذا شأنهم في القرن الماضي ولذلك رأينا كتابات مثل كتابات سيديو ودرابر ولوبون وللويل وغيرهم تطبع وتنشر وكلها حماس عجيب في صورته للعرب ولتاريخهم ولحضارتهم . اما الان فقد اختفت تماما مثل هذه الكتابات من الادب الغربي، واصبح الذين يكتبون في هذا الموضوع ، يتناولونه من الزوايا السلبية في غالب الاحيان ان كانوا من المنصفين او من حيث يريدون الطعن والهجوم ان كانوا من المضللين.

خلاصة القول ان اليهود في عصرنا هذا تمكنوا من السيطرة على وسائل النشر والاعلام في العالم الغربي ، واخذوا يسوقون العقل العربي في الاتجاه الذي يريدونه، وفي المسالك التي يحددونها له . ليس معنى هذا ان العالم الغربي قد عدم مطلقا ان يخرج ناشرين يقبلون طبع الكتب المنصفة العلمية وانما هؤلاء قلة لا يحسب لها حساب الى جانب الاغلبية الهائلة اليهودية التي تطغى على الميدان وتتحكم فيه كامل التحكم ، بمختلف وسائل النشر والاعلام الحديثة العلمية التي تؤتي اكلها حتما كما يشتهون .

وان نظرة الى الخطة الرتيبة التي اتبعها ادب الغرب في تشويه اسم العرب وحضارتهم قد تجعلنا نتجه الى القول بان خطة المحو هذه ربما لم تكن اصلا خطة اوروبية، وانما كان لليهود وللصهيونية فيها اليد الطولى . لقد حاول كتاب كثيرون ان يشبهوا العرب بشعوب من الهمج مثل الهون والوندل ، ويصفونهم دائما بانهم رعاة رحل ويلصقون فيهم هذا الوصف . واليوم يحاول اليهود اقناع العالم الغربي الذي يساندهم او قل اقناع الرأي العام في العالم الغربي حتى تعتمد عليه الحكومات في تبرير تصرفاتها ازاء العرب ، ان اليهود احق بارض فلسطين وبصحراء فلسطين لانهم يعمرونها في حين يتركها العرب الرحل للبوار . وهذه نقطة يقابلك بها الاوروبيون في كل مكان ويجابهونك بهذا مقتنعين أن الارض القاحلة احق بمن يعمرها لا بمن يهجرها او يتركها خرابا .

على ان الدعاية الاوروبية ـ الصهيونية ضد العرب ووصفهم بانهم مجرد بدو رحل ، وفي هذا الوصف ما لا يخفى على اذهان المتبصرين اذ ان « بدوي » يعني «يرحل» يعني « غير صاحب حضارة » .. هذه الدعاية لم تكف بل انهم لا يزالون في غيهم حتى لقد نجد في احدث كتبهم اساءات بالغة لاسم العرب . مثال ذلك محاولة استاذ يهودي بجامعة لندن اسمه برنارد لويس ـ وهو احد ثلاثة يهود في قسم الاستشراق بجامعة لندن ـ تعريف من هو العربي في مقدمة كتابه « العرب في التاريخ » . وكل بحثه يدور ويلف ليعود ثانية مؤكدا ان العربي هو البدوي لا غير حتى لقد تخطى كل حدود المعقول وغير المعقول . وهذه هي عبارته بنصها وترجمتها : « العرب بالنسبة لمحمد ومعاصريه هم البدو سكان الصحراء ، وقد استعمل القرآن هذا النص (اي العرب) على التخصيص في هذا المعنى ولم يستعمله قط ليدل على سكان مكة والمدينة والمدن الاخرى . ومن ناحية اخرى ، فان لغة هذه المدن ولغة القرآن ذاته انما توصف بانها عربية » .

ان هذا هراء ولا ريب ، ولكن انى لاوروبي يقرأ لاستاذ بجامعة لندن ان يدرك أن هذا هراء وكذب وتضليل .

اولا : اذا كان العرب بالنسبة لمحمد عليه السلام ومعاصريه هم البدو ، فماذا كان هو ومعاصروه ؟ أكانوا من جنس اخر ؟ لم يخبرنا سيادة المؤلف اليهودي .

ثانيا : لغة القرآن توصف بانها عربية . أمعنى هذا انها غير عربية ؟ كلا وانما يريد ان يقول انها ليست العربية الفصحى .

هذا نموذج من خطة لصق صفة البدوي الرحل في اسم عربي حتى يظل الاوروبيون دائما ناظرين الى العرب من هذه المرآة . هذا الكلام لو انه صدر عن كاتب غير مختص لما اهتممنا اهتماما كبيرا بشأنه ، وانما الخطورة ان يصدر عن كاتب مختص فينقله جميع الذين يكتبون في هذا الموضوع من غير المختصين بدون مناقشة . ولهم عذرهم في هذا فمصدرهم استاذ مختص بجامعة شهيرة كبيرة محترمة هي جامعة لندن . وللغرابة والعجب مرة اخرى نرى ان الاستاذ لويس قد قرر نهائيا ان تفسيره هو التفسير الصحيح ، وان تفسيرات المعاجم العربية غير صحيحة . فهل رأى احد قبل اليوم تبجحا وتهجما كهذا ؟ واذا كانت تفسيرات لسان العرب وتاج العروس وغيرهما خاطئة اذن فمن اين استقى لويس معلوماته ؟ من اين استقاها ان لم يكن من المراجع العربية ؟ لم يخبرنا الاستاذ الفاضل لانه لا يستطيع ان يخبرنا بشيء غير موجود .

نحن نعرف جميعا ويعرف كل عربي وكل أجنبي متصل بادب العرب وتاريخ العرب . ان لفظ « عرب » اسم جنس يطلق على ذلك الجنس من الناس الذين يقطنون بلاد العرب سواء أكانوا بدوا ام حضرا . وان هناك تفريقا واضحا بين « عربي » و « اعرابي » . وان ذكر الاعراب تحديدا لسكان الصحراء الرحل جاء في القرآن عشر مرات . وقد ترجم جميع الذين ترجموا القرآن الى لغات اوروبية كلمة « اعرابي » هذه « بساكن الصحراء » اي البدوي . وذكر القرآن كلمة « عربي » احدى عشرة مرة ولم يقل « بلسان اعرابي فصيح » وانما قال « بلسان عربي فصيح » . وفي الحديث كما تخبرنا معاجمنا العربية : ثلاث من الكبائر ، منها التعرب بعد الهجرة (اي العودة الى البادية والاقامة مع الاعراب) بعد ان كان مهاجرا من مكة (اي عربي لا اعرابي) ، وكانوا يعدون من يفعل ذلك كالمرتد . وقال الازهري : والذي لا يفرق بين العرب والاعراب والعربي والاعرابي ربما تحامل على العرب بما تتأوله اية : « والاعراب اشد كفرا ونفاقا » وهو لا يميز بين العرب والاعراب ولا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب ، انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن . وهذا التفريق بين البدو والحضر تماما كما نفرق نحن اليوم وكما يفرق جميع سكان العالم بما فيهم فرنسا وانجلترا وامريكا الخ .. بين ساكن باريس او لندن او نيويورك والفلاح ساكن القرى الريفية الذي يعمل في الزراعة .

والاعرابي اذا قيل له : يا عربي ! فرح بذلك وهش له . والعربي اذا قيل له يا اعرابي ! غضب له . هكذا تخبرنا معاجمنا العربية . فهل نصدقها ام نصدق لويس ؟

ولكن الاستاذ لويس يقول لتلاميذه ان هذا غير صحيح . وان تفسيره هو الصحيح وتفسيرات العرب ومعاجم العرب وادب العرب وتاريخ العرب خطأ . وللـه في خلقه شئون .

ثم ان الاستاذ اليهودي الذي يدرس للانجليز

وللشرقيين ايضا ومنهم عرب طبعا ، تاريخ العرب ، لم يقتصر على هذا التشويه وانما ملأ كتابه بمختلف انواع الافتراء والتجني والتضليل ، ولا يسعنا في هذا المجال المحدود الا ان نستشهد بعدة فقرات من كتابه هذا ،وردت في الفصل اول وعنوانه « محمد وظهور الاسلام » ، عندما اراد ان يصف نواة الجماعة المدنية الاولى في الاسلام . قال : « ويقول مؤرخ سيرته (اي سيرة النبي) وكتب رسول الله (صلعم) كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط لهم » . ثم يستطرد فيقول « وليس هذا الكتاب معاهدة بالمعنى الاوروبي بل تصريحا من جانب واحد . وكان الغرض منها عمليا واداريا صرفا، ويبين طبع النبي الحذر الحريص . ونظمت العلاقات بين المهاجرين والمكيين وقبائل المدينة وبين هذين الفريقين وبين اليهود والجماعة التي اقامتها هذه الوثيقة ، وهي الامة ، كانت تطورا للقرية الجاهلية ، صحبته تغييرات حيوية . وكانت خطوة اولى نحو الحكم الاستبدادي الاسلامي فيما بعد » .

انتهى الاستاذ بجامعة لندن من مهمته : الحكومة الاسلامية حكومة استبدادية . ولا اظن اننا بحاجة الى تفنيد هذا الكلام الغث والرد عليه .

ويقول ايضا : « وقد زادت الامة (اي الامة الاسلامية) في العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد العرب قبل الاسلام ولم تبطلها . وكانت افكارها حول هذا الموضوع لا تعدو نطاق البناء القبلي : احتفظت بنفس الاحكام السارية قبل الاسلام في مسائل الملكية والزواج والصلات بين افراد القبيلة الواحدة . ومن الطريف ان نلاحظ أن دستور النبي الاول شمل تقريبا جميع العلاقات المدنية والسياسية ، ليس فقط بين المواطنين انفسهم فحسب ، بل بينهم وبين غيرهم ايضا .
وهذا ايضا كلام لا يحتاج الى تفنيد ولا الى شرح. ذلك ان هذا الكلام لا يقوله غير جاهل جهول باصول الاسلام او مغرض مضلل موغل في تضليل قارئه .

ويقول ايضا : « لما كان المهاجرون معدمين من الناحية الاقتصادية ولا يرغبون في ان يعتمدوا كلية على المدنيين، فقد تحولوا الى المهنة الباقية وهي السطو . وقد عبر الكتاب الاوروبيون عن استيائهم البالغ ، وهم محقون في ذلك ، حين رأوا رسول الله يقود المسلمين في غارات على قوافل التجار من اجل الحصول على الغنيمة . الا انه طبقا لظروف ذلك الزمن ، وطبقا لمبادىء العرب الاخلاقية ـ كان السطو مهنة طبيعية وشرعية . وقيام الرسول بمثل ذلك العمل لا يلحق به اي عار » .
العرب الذين ظهر فيهم محمد جماعة من اللصوص وعلى رأسهم نبي (لص ايضا استغفر الله) لان ذلك شريعتهم الاخلاقية . وفي هذا من الكذب ومن السخرية ما يرى القارىء . فهل رأى احد امعن من هذا الكلام في سب العرب والاسلام والكيد لهم ولتاريخهم ولاسمهم؟
اما اذا اردنا ان ننظر الى غارات القبائل بعضها ضد بعض على انها لصوصية ، فلماذا لا يطبق كتاب اوروبا هذا المفهوم الا على العرب . ماذا كان اليونان الذين يسمونهم آباء المدنية الغربية ؟ ماذا كانت مهنتهم ؟ الم تكن القرصنة؟ الم يكونوا اكبر واعتى قراصنة عرفهم البحر المتوسط طوال قرون ؟ ماذا كان ابطالهم الوطنيون مثل اوديسوس واجاكس وغيرهم والذين لا يزالون يتغنون ببطولاتهم ؟وماذا كانت روما وماذا كان الرومان ؟اكانوا اكبر قراصنةولصوص وسفاحين عرفهم التاريخ القديم ؟ وما الامبراطورية الانجليزية والفرنسية وغيرهما في التاريخ الحديث ؟ اكانت غزواتهم ونهبهم للشعوب ولصوصيتهم سرقة في نظر الاستاذ لويس وامثاله ممن يكتبون تاريخ الشعوب المجيدة فيشوهونها ؟

كلا ثم كلا . اليونان كانوا اعظم شعب رب الدمقراطية، وروما بهمجيتها ووحشيتها كانت اعظم امبراطورية قديمة ، وانجلترا وفرنسا وامريكا الان هي حصون الحرية والعدل والحق والقانون .

وهكذا عمد المستشرقون او على الاصح معظمهم الى قلب حقائق التاريخ رأسا على عقب وتشويهها واشاعة الاكاذيب والاضاليل فامتلأ الادب العربي بصور كاذبة خادعة شائنة عن الشعب العربي وعن تاريخه وعن حقيقته. والحق انه لا غرابة في ان يعمد كتاب من اعداء العرب الى الدس والتضليل وتشويه الحقائق . ولكن الغرابة كل الغرابة والعجب كل العجب ان تصدر مثل تلك الكتابات عن اساتذة في جامعات محترمة كجامعة لندن .

وكتاب لويس هذا لحسن الحظ ترجمه استاذان هما الدكتور نبيه امين فارس والدكتور محمود يوسف زايد. واقول لحسن الحظ لان مثل هذه الكتابات على ما فيها من كذب ونفاق ينبغي ان تترجم على اية حال ، حتى يستطيع ان يقرأها أكبر عدد من ابناء العربية ويطلعوا على ما تكيده لهم اوروبا والصهيونية ، وحتى يتمكن الضليعون منهم بتاريخنا والذين لا يعرفون لغات اجنبية ان يفسروا لنا الحقائق ويكشفوا لنا عن الحق . وعندئذ نستطيع ان نواجه هذه الدعايات الغربية ونصدها عنا عن طريق العلم بحقائق الاشياء ، وعن طريق تبادل الرأي في امثل الطرق للقضاء عليها . ولذلك فنحن ندعو آلى ترجمة جميع ما يكتب عنا . والافضل ان يعلق عليها المترجم لتنوير الاذهان او يشرك معه غيره من علماء التاريخ العربي في التعليق حتى يخرج العمل كاملا وحتى يحقق الفائدة التي نرجوها .

جلال مظهر